إضاءات نقدية (فصلية محكمة)
السنة العاشرة – العدد الثامن والثلاثون – صيف ١٣٩٩ش/ حزيران ٢٠٢٠م
DOR: 20.1001.1.22516573.2020.10.38.6.0
صص ١٦٠ ـ ١٣٩

تحليل أسباب الفروق الطبقية فى صحافة الخمسينيات؛ أشعار أبى‌القاسم حالت أنموذجا

زهرا نوروزى*
سيد بابک فرزانه (الكاتب المسؤول)**

الملخص

تزامناً مع نشـر الصحف، تأسّـس فرع جديد عن أدب الفكاهة تحت عنوان الفكاهة الصحفيـة، وهى معرّضة للتغير والتطوّر حسـب التطورات السياسـية والاجتماعية والثقافيـة ولا ثبـات لها فتتوقـف حيناً وتُعلّق حينـاً آخر. وكانت إيـران فى فترة الخمسـينيات للتقويم الهجرى الشمسـى من الدول التى واجهت مصاعب كثيرة من حيث الفقر والتوزيع غير المتسـاوى للدخل من بين دول العالم الثالث. يسلّط البحث الحالى الضوء على أسباب الفروق الطبقية فى المجتمع الإيرانى فى فترة الخمسينيات للتقويم الشمسى لدراسة النشاطات الصحفية التى قام بها أبوالقاسم حالت فى تلک الفترة. كما قام البحث باستخراج أشعار قاسم حالت الفكاهية فى صحف تلک الحقبة لدراسـتها معتمداً المنهج الوصفى التحليلى. تشـير نتائج البحث إلى أن "أبا القاسم حالت" اتخـذ خطواتٍ هامّة لإصلاح وتقويم المجتمع بتطرقه إلى مشـاكل الشـعب والمجتمع، وعدم المسـاواة، ونقد السـلطة الحاكمة، وتفوق العلاقـات على المعايير، والفجوة الاجتماعية وإشـاعة الفساد الاجتماعى، وعبر اسـتخدامه اللغة البسيطة والسـهلة والمصطلحات المتداولة بين الناس. وقد تسـبّب بنقده الساخر فى إحداث تطورات فى الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمجتمع الإيرانى فى فترة الخمسينيات.

الكلمات الدليلية: الفكاهة الاجتماعية، أبوالقاسم حالت، الفروق الطبقية، اللامساواة الاجتماعية، الاستبداد الحاكم، إشاعة الفساد.

---

*. طالبة دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم والأبحاث، **جامعة آزاد الإسلامية**، طهران، إيران
moghadam.iausari@gmail.com
**. أستاذ فى قسم اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم والأبحاث، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
courses.drf@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٣٩٩/٢/١١ش تاريخ القبول: ١٣٩٩/٦/٢٧ش

المقدمة

تعدّ الفكاهة شكلاً من أشكال الأدب التى تعالج الاضطرابات فى الحياة الاجتماعية، والمشـاكل الأخلاقية والصعوبات السياسية فى قالب السـخرية والدعابة تلميحاً دون صراحة. إحدى خصائص الأدب الإيرانى والدول التى واجهت الاستبداد، تميزه بالهجاء والهـزل. ذلک لأن الناس عندما لم يتمكّنـوا من توجيه النقد صراحة، ينتقدون المجتمع عـبر كلام فكاهى قد يكون فظاً ولاذعاً. وتعتبر كتابة الفكاهة أعلى مسـتوى من النقد الأدبى. لأن تعبيره النقدى يجرى من خلال لغة رمزية اسـتدلالية. وقد ازدهرت فكاهة الأدب الفارسـى منذ الثورة الدسـتورية فصاعداً، وبما أنها أخفّ حدّة بالنسـبة للهجاء والهـزل ولا تنافى الأخلاق نوعاً ما، فهى أكثر تلاؤمـاً مع ذوق الأدباء المعاصرين فى إيران. وتزامناً مع انتشـار الصحف، انشعب فرع جديد من أدب الفكاهة حاملاً عنوان الفكاهـة الصحفية. والمعروف عن الصحف عادةً، كتابة الحقائق لتوعية الشـعب وتنوير الـرأى العام. والفكاهة الصحفيـة أكثر تركيزاً على جوانب معينة كالقضايا السياسـية والاجتماعية. هذا وكانت اسـتراتيجية النظام فى فترة الخمسـينيات تجرى نحو تدفق الثروة نحو الأسرة الحاكمة والنخب التابعة لها دون إيلاء أى اهتمام للشعب وحوائجهم.

أبوالقاسـم حالت شـاعر ومترجم وناقد فكاهى إيرانى معاصر. وهو باعتباره أحد أبرز وجوه أدب الفكاهة الذى يحمل أفكاراً تتميز بروح الالتزام والمسؤولية تجاه شعبه ومجتمعه، اسـتطاع أن يؤثر فى الناس ويجلب انتباههم من خلال كلامه الذى يلقيه فى وقت مناسـب بأسلوب خاص مستخدماً الصناعات الأدبية أحياناً. وقد خطا خطوات كبـيرة فى طريـق إصلاح المجتمع وبانتقاده المجتمع يسـعى لتحقيـق العدالة بين جميع فئاته. وقد انتشـرت له مقالات فكاهية اجتماعية متعددة لمدة عشـر سـنوات متتالية منـذ اوائل خريف عـام (١٣٥١ش) تتميز بالنقـد فى جريدة كيهان. وبما أن الشـاعر حالـت يعدّ أحد أبرز شـعراء الهزل فـى تلک الفترة ويمتاز برؤية نقديـة إزاء القضايا الاجتماعية، فمن الضرورة بمكانٍ أن تخضع أشـعاره للدراسـة والتحليل. وهذا البحث يرمى إلى دراسـة أسباب الفقر واللامسـاواة والانقسامات الاجتماعية والظلم السائد على المجتمع، وتفوّق العلاقات على المعايير، والفروق الطبقية فى أشـعار "حالت"، وبما

أن الإنسان بصورة عامة يبحث عن العدالة وتحقيق المساواة، فمن جانبه خالف الشاعر هذه اللامساواة والفروق الطبقية وثار عليها وانتقدها بشدّة فى أشعاره الفكاهية.

أسئلة البحث

حاول البحث أن يجيب على الأسئلة التالية:

١. ما هى عناصر الفكاهة الاجتماعية البارزة فى الصحف الإيرانية اعتماداً على أشعار حالت؟
٢. مدى تأثير دور الفكاهة والنقد الذى وجّهه حالت، فى إحداث التغير والتطور السياسى والاجتماعى والثقافى فى المجتمع؟

خلفية البحث

من بين الأبحاث المتعلقة بالشاعر "حالت" وأشعاره الفكاهية يمكن الإشارة إلى "التقنيات اللغوية والأدبية لأبى القاسم حالت فى آثاره الفكاهية" لأسد الله (١٣٩٠ش)، وفى هذا البحث، اعتبر الكاتب أن فكاهة حالت هى فكاهة صحفية بامتياز، معتقداً أنه استخدم القوالب التقليدية فى أشعاره. ومقالة أخرى بعنوان "تقنيات الفكاهة فى ديوان خروس لارى (الديک اللارى) لنيرة باباخانى (١٣٩٦ش) حيث تعتقد الكاتبة أن الشاعر فى هذا الديوان قام بانتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة فى المجتمع بلهجة ساخرة هزلية. وهناک بحث آخر "اتجاه نحو أدب الفكاهة، دراسة فى شعر أبى القاسم حالت" لمهسا ساكنيان دهكردى (١٣٨٧ش) وكذلک رسالة بعنوان "دراسة مقارنة لمضامين الشعر الفكاهى فى أشعار أبى القاسم حالت، أبى الفضل زرويى وأكبر أكسير لبهمن حدادى (١٣٩٣ش) ورسالة أخرى "الفكاهة فى أشعار أبى القاسم حالت" على أصغر دوركى (١٣٨٥ش).

وإن تعدّدت الدراسات والبحوث فيما يخصّ أدب الفكاهة فى أشعار أبى القاسم حالت، إلا أنه لم يتمّ إنجاز بحث مستقل يتطرّق إلى الأسباب الرئيسة للاختلافات والفروق الطبقية فى مجتمع العقد الخمسين مع الأخذ بنظر الاعتبار دور الشاعر أبى القاسم حالت فى تناوله هذه الأسباب فى هذه الفترة وأسلوب الفكاهة الذى استخدمه

فى هذا الفن.

منهج البحث

اعتمد البحث منهج مصادر المعلومات فى المكتبات وتدوين الملاحظات بالاستفادة من الصحف والمجلات والكتب والمواقع الإلكترونية، مستنداً إلى تاريخ الفكاهة فى الصحف وأعمال الشاعر "حالت" التى تعدّ مصدراً رئيساً للبحث. وقام البحث من خلال القراءة والمنهج الوصفى بتحليل الأشعار للتوصل إلى معلوماتٍ تفيد بما كان يمرّ به الشعب من هواجس وهموم فى عقد الخمسينيات، فى مجال الفكاهة الاجتماعية ودراسة الفروق الطبقية وفقدان العدالة الاجتماعية فى المجتمع.

التعاريف

الفكاهة: لغةً بمعنى «التأسف والندم، والتهكّم، واللوم، والاستهزاء، والدعابة.» (معين، ١٣٨٢ش: ٧٤٥) وإن كانت الفكاهة تعنى لغةً الهجاء والتهكم، ولكن «فى الأصل تعنى الشفرة الجراحية، والهجاء فى الإنجليزية Satire وهى مشتقة من Satira اللاتينية ومأخوذة من أصل Satyros اليونانية. و Satira اسم لإناء مملوء بالفاكهة يقدّم كهدية لأحد آلهة الزراعة وتعنى لغةً "الغذاء الكامل أو بمعنى "مزيج من كل شىء".» (أصلانى، ١٣٨٥ش: ١٤٠) تطلق الفكاهة فى الأدب على شكل خاص من الأعمال الأدبية نثراً كانت أم نظماً و«تتناول الأخطاء أو الجوانب غير المرغوب فيها للسلوك البشرى، والفساد السياسى والاجتماعى، أو حتى التفكير الفلسفى بطريقة مضحكة ومسلّية.» (م.ن) وقد عرّف جانسون فى كتابه معجم الألفاظ أن الفكاهة «شعر فى رفض الشر والجهل.» (پلارد، ١٣٨١ش: ٥) يقول درايدن فى تعريف الفكاهة «إن الهدف الأساس من الفكاهة، إزالة القذارة.» (م.ن) يستخلص من التعاريف المذكورة أن الفكاهة كلام يلفّه الغموض ويستمدّ من عنصرى "الكناية" و"الإغراق" ويرمى الكاتب من خلاله تحقيق هدف معين. فى الواقع إن وجود عنصر هادف كهذا، حوّل الفكاهة إلى فن عصرى يواكب عجلة التطور.

المطبوعات: مقتبسة من طبع بمعنى ما تم طبعه ويشتمل على كل شيء مطبوع على الورق. «جمع مطبوع. بمعنى ما تم طبعه من كتب ومجلات وصحف.» (دهخدا، ١٣٧٧ش: مطبوعات) فيمكن القول إن المطبوعات تصدر بصفة دورية فى مواعيد منتظمة باسم ثابت ذات رقم وعدد وتاريخ وتسلسل فى مختلف المجالات الخبرية والنقدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والزراعية والثقافية والدينية والعلمية والفنية والرياضة وغيرها كالجريدة أو المجلة أو النشرة.

أبوالقاسم حالت

أبوالقاسم حالت، شاعر وكاتب معاصر «ولد عام ١٢٩٨ش فى طهران وواصل دراسته فيها.» (فرجيان، ١٣٧٠ش: ٢١٢) وكان منذ البداية توّاقاً إلى النشاطات الأدبية وبدأ نظم الشعر فى بداية شبابه فى سنة ١٣١٤ش. وكذلک «لقد كان مثابراً وناجحاً فى تنفيذ هذه الأنشطة حتى أنه فى عام ١٣١٧ش أصبح محرراً لجريدة توفيق الفكاهية.» (نبوى، ١٣٩٥ش: ١١٥) إضافة إلى جريدة توفيق قام بعد عام ١٣٢٠ش بكتابة أعمال ساخرة شعراً ونثراً فى «دوريات أخرى مثل أميد، طهران مصور، قيام ايران، وخبردار.» (صدر، ١٣٨٤ش: ٩٦) ولقّب الشاعر بـ خروس لارى، فاضل مآب، أبو النظارة، وهدهد ميرزا.

رغم أن أبا القاسم حالت عاصر فترة كان الاتجاه النيمائى شائعاً فيها، إلا أنه نظم أشعاره فى القوالب الكلاسيكية والتقليدية. امتازت لغته الشعرية بالبساطة والسهولة وهى مقرّبة إلى لغة عامة الناس ولكنها لا تخلو من العناصر الجمالية فى نفس الوقت. وظلت الأشكال التقليدية سارية المفعول فيها ولم يبتعد عن تقليد الشعر الكلاسيكى والإيقاع الفارسى. والتعديلات التى قام بها، فهى بعيدة عن التعقيد والتكلّف. ديوانه ملىء بالنصائح والحِكَم وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على أنه كان يعيش فى مجتمع يحتاج إلى نصح وإرشاد. تشير غالبية أشعاره إلى أنه كان متأثراً بمأساة المجتمع والأوضاع المتدهورة آنذاک. ويعدّ الشاعر حالت من أبرز الشعراء والكتّاب المعاصرين، لم يتخلّ قط فى طول فترة حياته عن النشاطات الأدبية، حتى أنه واصل نشاطه مع

مجلة "گل آقا" حتى آخر أيام من حياته. وكان بارعاً فى نظم جميع أشكال الشعر من القصيدة والمقطوعة والغزل والرباعى والمثنوى. يمكن اعتبار فكاهته من النوع السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى والأسروى. وفى شعره تطرق إلى المشاكل والقضايا الاجتماعية ساعياً إلى تحقيق المدينة الفاضلة والقضاء على كل ما يهدّد المجتمع من مشاكل ومعضلات وعوائق. وأخيراً توفّى فى الثالث من آبان عام ١٣٧١ش فى طهران. لذلک قام البحث الحالى بدراسة أدب الفكاهة فى أشعار أبى القاسم حالت لتحديد أسباب الفروق الطبقية فى الخمسينيات.

البحث والدراسة

يمتاز عالم الفكاهة برسم الآلام والأحزان والهزائم بروح الدعابة. شهد التاريخ أنواعاً مختلفة من الفكاهة، الهزل والنوادر المشتركة بين الشعوب فى جميع الأزمنة. وهناک العديد من الشخصيات تميزت بالمزاح والنكت والسخرى وباستخدام الفكاهة أدخلوا الفرح والبهجة فى نفوس الجمهور. «ولكن فى الفترة المعاصرة، تطور أدب الفكاهة وازدهر باللغة العامية والفصحى على حد سواء.» (مجاهد، ١٣٩٠ش: ١٨) الفكاهة عنصر مهم من عناصر الأدب، أنشأت على أساس عنصرى الكناية والمبالغة يحتوى على النقد الاحتجاجى بهدف التقويم والإصلاح. «العديد من التورية واللعب بالكلمات تتسبّب فى قلب المعانى وتبعث فى النفس الرغبة والدعابة فى استخدام هذه الكلمات والتراكيب عند الشدائد والمصاعب وهى إحدى المجالات التى يوفرها المجتمع للناس من أجل الالتفات إلى السخرية والفكاهة.» (قزيحة، ١٩٩٨م: ١٠٢) ولا تخلو أى من المحافل اليوم من الفكاهات المتعلقة للقضايا والمواضيع اليومية. فى الواقع، «يقوم الفكاهى عادة بمهاجمة كل ما يعوق الحياة من التقدم والتطور بلا رحمة ولا هوادة.» (آرين پور، ١٣٧٥ش، ج١: ٣٦) وحول الجانب الاجتماعى للفكاهة، ينبغى القول: إن الفكاهة تعتمد على العوامل الاجتماعية وهى أحد أسباب ظهورها. ومن جهة أخرى تعدّ الفكاهة نشاطاً نفسياً أكثر تميزا بالسمة الاجتماعية. «منذ الثورة الدستورية والفترة التى سبقتها بقليل، اتخذت الصحافة أجواء مختلفة وتحررت من التبعية للسلطة وأصبحت

شـعبية.» (كسـروى، ١٣٨٨ش: ٤١) وكانت هذه الخطوة الأولى فـى تعميم الصحافة. كانـت الثورة الدسـتورية فى إيران «بارقة أمل لبداية حقبـة جديدة فى تاريخ الحياة السياسـية والاجتماعية للأمة الإيرانية، بدأ المثقفون خارج إيران وداخلها فى الكتابة وقامـوا بتنوير الرأى العام وتثقيفه من خـلال الصحف والكتب.» (حاكمى، ١٣٧٣ش: ٧) فى فترة الثورة الدسـتورية،كانت القضايا السياسـية والاجتماعية فى المجتمع هى أساس الفكاهة الاجتماعية التى ظهرت فى تاريخ الأدب والثقافة الإيرانية. وهذه فى الواقع، إحدى سمات الأدب والمعرفة الاجتماعية لفترة الدستورية، أنها بدلاً من تلخيص القضايا الاجتماعية فى حالات مصغرة ومحددة، تسـوق الأمور إلى استنتاجات عامة وأساسـية. « وربما أهمية هذا الأمر يعود إلـى التغيير العام الذى كان المجتمع الإيرانى يخضـع له والضمير الاجتماعى من جانبه يخضع للمقاضاة تجاه المجتمع بأكمله ومن هنا تشكلت ثورة اجتماعية كبيرة.» (نبوى، ١٣٩٥ش، ٢: ٤٤٣)

الأسباب الاجتماعية لظهور الفكاهة فى الصحافة

إن الفكاهة فن أدبى ولغة نقدية أكثر شيوعاً من بين سائر الفنون يستخدمها الشعراء والكتّاب لنقل مؤثراتهم النفسـية والفكرية إلى الآخرين. «وباسـتخدامه فى غطاء من السـخرية والمزاح يقومون باستئصال الفسـاد من حياة المجتمع وأفراده.» (آرين پور، ١٣٧٥ش، ١: ٣٦) توجد للفكاهة أسباب اجتماعية متعددة منها «الفروق الطبقية، فقدان العدالة، الفقر الذى تعانى منها الرعية والطبقة الكادحة فى المجتمع التى تسعى وتكافح مـن أجل توفير الرفاهية والراحة للطبقة الغنية المرفّهة.» (الحوفى، ٢٠٠٥م: ٢٨٤) تبعاً لهذه التغييرات والتطورات التى شـهده المجتمع آنـذاك، خضع الأدب أيضاً لتغييرات وتطورات فى بنية المضمون والمحتوى، وتحرر الأدب من الانتماء إلى فئة خاصة أو طبقة معينة وانتمى إلى الشعب. بما أن الشاعر أو الكاتب يهتمّ بقضايا ومشاكل الشعب، فإنه يبتكر أعماله من وجهة نظر الناس. ويسـعى الشاعر أو الكاتب إلى التعبير عن مشاعر الشعب و رغباته. وترمى الفكاهة الاجتماعية إلى إفشاء الظلم القائم واستبداد الحكام والأحكام الظالمة للقضاة وخداع التجار والكسـبة ونفاق الزهاد والفسـاد الأخلاقى

والاجتماعى وما شابه ذلک.

تعدّ الفكاهة أداة لنقد واستنكار الشعوب التى لا تملک الكثير من الحرية السياسية ولا يمكنهم صبّ سموم كراهيتهم وغضبهم مباشـرة فـى كأس الظالمين والمنافقين. ولهذا السـبب كانوا يتظاهرون بالجنون والاضطراب العقلى. وقد كشفوا الحقيقة بطرق خفية وغير تقليدية ونقلوا ما يريدون للمجتمع بهذه الطريقة. ومنذ الثورة الدستورية ازدهرت الفكاهة بين المثقفين، ذلک لأن فترة الثورة الدسـتورية كانت بداية عصر التغيير فى كل شىء. ويكون هذا التغيير أحياناً جذرياً بدرجة تحدث ثورة أدبية على أثره. «البحث عن أشـكال جديدة فى العرض من ناحية والقصة من ناحية أخرى، يؤدى إلى اكتشـافات جديـدة وغير كاملة. وهذا البحث أكثر دقـة واكتمالا فى الفكاهة.» (نبوى، ١٣٩٥ش: ٤٤٦) صحيـح أن الفكاهى قـد ينفد صبره أحياناً، ولكن عنـد الإبداع عليه أن يكون هادئاً تماماً وغير منفعل، ذلک لأن الحفاظ على الهدوء يزيد من تأثيره وقوته. فمراعاة هذا الأمر ضرورى ليس فى الشـعر وإنما فى القصة وفن الكاريكاتير أيضاً. «الفكاهى يجـب أن يعرض فنه فى كلام غامضٍ سياسـياً كان أم اجتماعيـاً أم أخلاقياً. بإمكان الفكاهى أن يعبّر عن كلّ شىء بشكل فعّال دون تسميته.» (صلاحى، ١٣٩٥: ١٨٢)

أبرز الصحف الفكاهية فى إيران

تغيرت الفكاهة فى الأدب المعاصر بشكل كبير وأساسى بالنسبة للأدب الكلاسيكى. وباعتبارهـا لوناً أدبياً موجّهاً يعتمد على موضوعات جادّة للغاية، جذبت انتباه العديد من الكتّاب والشـعراء الكبار. «شـهدت الفكاهة تطوّراً ليس فى المضمون فحسب بل تغيرت قوالب الأعمال التى شـهدتها هذه الفترة إضافة إلى شكلها الذى تطوّر بشكل ملحوظ أيضاً حتى أن الشـعر كان الأداة الرئيسة للفكاهة قبل نحو نصف قرن تقريباً.» (جوادى، ١٣٨٢ش: ٢٤١) بما أن الصحف التى تحتوى على قضايا الشـعب ومشاكلهم مسـتقلة عن الصحف الحكومية والرسمية، فهى كانت تدخل فى مجال الصحافة المستقلة والمؤيدة للشـعب. وفى مثل هذه الصحف، تعدّ موضوعاتهـا الفكاهية تعبير عن معاناة الشعب اليومية أو هجاء ونقد بعض الشخصيات أو الخصوم السياسيين وقضايا أخرى.

كجريدة "توفيق" وإن كانت تحمل عنواناً فكاهياً لكنّها جادّ فى جميع موضوعاتها. كانت هذه الجريدة تعبّر عن قضايا و موضوعاتٍ تتصل بمشاكل الناس والتى تتحاشى الصحف الأخرى التابعة للحكومة الخوضَ فيها خوفاً من قطع حصصهم المعيشية ولكن «توفيق كان يسعى بشتى الطرق أن يطرح تلك القضايا، لهذا لم يتم الإشادة بعمله فحسب، بل قامت السلطات الحكومية بتوقف نشر مجلته إلى الأبد فى عام ١٩٥٠ش.» (توفيق، ١٣٩٦ش: ٣٦٥) من الأحداث المهمّة التى شهدتها هذه الفترة، دور الصحافة فى تطوير الفكاهة فى المجتمع «لأن العقود التى تلت الدستورية، شهدت ظهور مجلات فكاهية كتوفيق، أميد، باباشمل، چلنگر، داد و بيداد، قلقلک، حاجى بابا و... والتى كانت ساحة استعراض الشعراء والكتّاب الفكاهيين والهجّائين ما أدى إلى تطوير هذا الجانب من الأدب. فاستمر هذا الاتجاه شيئاً فشيئاً حتى امتزجت الفكاهة بالصحافة بعد سنوات قليلة.» (صدر، ١٣٨٥ش: ٢١٢) من أيرز الفكاهيين فى هذه الفترة، يمكن الإشارة إلى أبرز الكتّاب والشعراء من أمثال؛ محمد على جمالزاده، صادق هدايت، أبو القاسم حالت، فريدون توللى، إيراج پزشک زاده، خسروه شاهانى و... . (روزبه، ١٣٨١ش: ١٢٣)

عناصر الفكاهية الاجتماعية فى شعر حالت

تتناول الفكاهة الاجتماعية دراسة المظاهر المختلفة للفوضى والمعضلات الاجتماعية والأخلاقية فى المجتمعات. ويعدّ حالت شاعراً فكاهياً اجتماعياً-أخلاقياً. وأى حدث يتصلة بالحياة الاجتماعية تناوله حالت موضوعاً للفكاهة والسخرية. كان هدفه الأساسى خلق روح الدعابة الاجتماعية. فى مواصلة البحث نتناول العناصر والموضوعات المطروحة فى أسباب الفروق الطبقية فى فكاهة حالت على النحو التالى:

مشاكل الشعب والمجتمع

كان أبو القاسم متعاطفاً جداً مع جميع فئات المجتمع حتى أنهم كانوا يثقون به ويطلعونه بمعظم قضاياهم ومشاكلهم. فى الواقع كانوا يعتبرونه وسيطاً لحلّ مشاكلهم.

نظرته إلى مشـاكل الناس مليئة بالتعاطف وروح الإنسانية. فكان يتحدّث عن مشاكل المجتمع وكأنه قد لمسـها عن كثـب. كان حالت «يعتبر التربيـة الفردية أكثر أهمية من التربيـة الاجتماعيـة، والنقد الاجتماعى أولى بالالتفات من السياسـة. كما كان يعتقد أن ه لا ينبغى أن تقتصر جميع القضايا على السياسـة، بل العديد من القضايا والمشـاكل متواجدة أساسـاً فى قلب المجتمـع وتكمن فى العلاقات وحتـى التربية والثقافة غير السـليمة التى عمّت فى المجتمع.» (رضوى، ١٣٩٥ش: ٦٠٥) تشـير فكاهية "حالت" إلى أعمق القضايا الإنسانية التى ربما نشأت عن أبسط الاحتياجات المعيشية للشعب:

– الجائع المشرّد بحثاً عن لقمة عيش، لا يفيده النصح وهو بحاجة الخبز.

– لا تتفوّه بالحلال والحرام أمام الجائع، إذا كانت المعدة خالية فلآذان غير صاغية. (حالت، ١٣٦٨ش:٤١٦)

قد تسـبب هذه النقيصة فى الحياة الفردية مشـاكل أخلاقية متعددة فى أبعاد مختلفة للمجتمع. فهو يصوّر تفشـى الفقر بين الناس فى المجتمع بطريقة يعتبر أن بقاء الإنسـان وسط هذا الجوع يتطلّب الشكر والامتنان:

– لا تتوقع نشـاطاً واجتهاداً من الجائع، إذا رأيته يتحرّک فاشـكر الربّ أنه حى. (م.ن: ٥١)

فهو فى تعبيره الساخر عن الفقر السائد ومعاناة المجتمع يجرى على لسان المسؤولين الذى يتظاهرون بجهل الأوضاع المأساوية ويشبّه نفسه بهم قائلاً:

كم تشـكو وتصيـح من الفقر وعدم امتلاکک الخبز والمـاء، وأنک من الفاقة لم يبق فيک إلا قليل من الرمق؟

لا رمق ولا نفس ولا حول ولا قوة، وما شأنى أنا أنک ليس عندک هذا وذاک؟

إذا أنت لا تملک قوتاً ولا أمتعة، وما أنا شـأنى بهذه الشـكاوى؟ وما شـأنى بكم؟ (م.ن: ٢١٨)

كان الشـاعر يهتم بالعلاقات الاجتماعية والسـلوک الفردى بين الطبقة المتوسـطة التقليديـة والطبقـة الدنيا، موجّهاً انتقادات سـاخرة للحياة الحضريـة والإدارية. فى القصيدة التالية، قام الشـاعر بانتقادات سياسـية امتازت بمهـارة وحزم لدرجة أنه إذا

كان شـخص لا يعرفه، لاعتبر قصيدته هذه، إحدى المقطوعات الغزلية المثيرة للشـاعر فروخى يزدى.

اخترقت آثارُ الخيانة هذا البيت فسوف يتحطم بيتنا العامر فى النهاية.

إذا أراد شخص خداعنا بحيلة، سرعان ما فكّر فى خطة لهذه الخدعة الخبيثة.

أصبح السـافل بلا مأوى لا يعرف أحداً من أجل المنصب. فى نهاية المطاف، تغمره إغراء البذرة ويقع أسيراً فى الفخ.

أصبح السـافل فى البداية حماراً أسـطورياً للأجانب، وبعد ذلک قام بتقييد مجموعة بأسطورة واحدة.

يصبح حراماً نوم الراحة لنا بعد اليوم، لأن أفعى سامة عشعشت فى بيتنا. (حالت، ١٣٦٨ش:٧٧)

تعدّ فكاهة حالت سياسـية واجتماعية واقتصادية وثقافية وأسروية. تعرّف "حالت" عام ١٣١٧ش بحسـين توفيـق. وكان الأخير فى هذه الأثناء «يرمى تحوّل أسـبوعيته الرسميـة إلى أسـبوعية هزلية فكاهية. ثم تحوّلت أسـبوعية توفيق عـام ١٣١٧ش إلى أسـبوعية فكاهية بشـكل كامل.» (صلاحى، ١٣٩٥ش: ٧١) كانت أشعار حالت قبل ذلـک حقيقية غير هزلية حتى أقبل على نظم أشـعار فكاهية. ولعبـت الصحافة دوراً هامّاً فى تطوير أشعار حالت الفكاهية ذلک لأن «الصحافة إن لم يكن لها دور فى نقل مثل هذه الأشـعار إلى الجماهير، ربما لم تلـق الفكاهة المكانة التى امتازت بها اليوم.» (سـاكنيان دهكردى، ١٣٨٧ش: ٩١) أبو القاسم حالت شاعر وكاتب شعبى ظل يكتب وينشد الشعر بهدف حل مشاكل المجتمع[١].

الفروق الطبقية

إن الفـارق الطبقى وازدياد الفجوة بين الطبقات المختلفة، كارثة أشـار إليها حالت مرات عديـدة. فالتفاته إلى القضايا الاجتماعية والثقافيـة أمرٌ بديهى ومتوقع. يتعامل حالـت كأى مواطـن حاضر بين أفراد المجتمع كل يوم وفـى أى لحظة يلمس القضايا

١. وإن كان هو يعدّ من الطبقة المتوسطة اقتصادياً.

من قريب ويتعمّق فى الأمور بكل دقة وتمعّن. ومن أشعاره، يمكن الإشارة إلى قصيدته "اتاق جادو" (الغرفة الساحرة) أو "آسانسور" (المصعد) فى بحر الطويل[۱]. تتجلى الفروق الطبقية فى هذه القصيدة بشكل واسع، حيث يروى قصة شخص قادم من القرية إلى طهران مسروراً حتى شدّت انتباهه الأبراج الشاهقة والعمارات الضخمة فوقعت عيناه على مصعد دخلت فيه امرأة عجوز وبعد دقائق خرجت منه سيدة شابة. والرجل البسيط يعتبر هذا المشهد من أروع المشاهد التى رآها فى حياته تفوق أضعاف ما رآه فى قريته من السحر والشعوذة.

«سمعت أن رجلاً أصبحت لديه رغبة فى رؤية طهران وبعد فترة طويلة عند حصوله على المال بإجهاد وإرهاق اتجه نحو طهران. ظل شاغلاً بمشاهدة العمارات يغمره الفرح والسرور يغنى بكل بهجة وحماس... وهو فى الشارع إذ لفت انتباهه مبنى عال وشاهق وفاخر. وفرح برؤية هذا المبنى وابتسم مرتين أوثلاث، مقترباً إليه ليشاهدة عن قرب وفجأة وقعت عيناه إلى مصعد، نظر إليه، حدّق فيه لفترة فإذا بامرأة ضغطت على زر كان بجانب المصعد ومن ثم ضوء يسطع فجأة وانفتح باب خلف غرفة دخلته العجوز وفيه زبون آخر حتى أغلق الباب. والقروى بينما كان قلقاً من هذا المشهد المثير للاهتمام، رأى من جديد أن باب المصعد ينفتح وهذه المرة تخرج منه سيدة جميلة وفاتنة. والرجل المسكين فوجئ بهذا المشهد وحدّق متحيراً بوجه تلك المرأة التى أصبحت شابّة...» (حالت، ۱۳۷۷ش: ۲۱)

---

۱. البحر الطويل هو التكرار غير المحدود لقواعد العروض وهو فى الواقع هواية أدبية يختبر فيها الشعراء أحياناً قريحة وبالتالى ينشدون الفكاهيات والهزل. وقد استخدم هذا الأسلوب فى التعازى والرثاء إلى جانب الأحاديث والمحاضرات. ومع ذلك، يمكن إنشاء البحر الطويل بتكرار أغلب الأفاعيل العروضية. «تستخدم فعلاتن فى الغالب فى بناء هذا النوع من الأدب» لمزيد من المعلومات (أنظر: حالت، ۱۳۷۷ش: المقدمة) لقد عرف البحر الطويل منذ الفترة الصفوية. أقدم مثال على البحر الطويل هو رسالة نثرية على ما يبدو تم تسجيلها فى تاريخ طبرستان ورويان ومازاندران (۸۸۱ هـ) من قبل سيد نصير الدين المرعشى، ولكن من حيث الشكل والوزن تعدّ من البحر الطويل. لمزيد من المعلومات (أنظر: مير صادقى، ۱۳۸۵ش) يتشكل البحر الطويل عادة بتكرار معظم الأفاعيل العروضية، لكن فعلاتن استخدمت كثيراً فى هذا النوع من الأدب. قصيدة "الغرفة السحرية" جاءت على هذا الوزن.

هذه القصيدة التى تناولت الفروق الطبقية، لها عمق يجعلها تسبب اختلافات فكرية وتدهش الشخص. و"حالت" فى الوقت الذى يترك الابتسامة المرة فى وجه القارئ، فهو يعرض الفقر المدقع أمام الطبقة الأرسطقراطية ربما يتبعه خفة العقل، مما يمكن القول إن الفروق الطبقية فى المجتمع قد تؤدى إلى انتشار الخرافة والاختلافات الفكرية.

ومن بين الأعمال الفكاهية المختلفة يمكن العثور على عدد قليل من الأعمال التى لديها الكثير من التنوع وتعدد الموضوعات كهذه. ويعود ذلک إلى الصلة التى نشاهدها بين الشاعر حالت والناس. بهذه الطريقة عرض الشاعر الفروق الطبقية وعدم المساواة والظلم الاجتماعى السائد فى المجتمع. «والتفاته إلى القضايا وأوجه القصور فى المجتمع بلغ حداً حتى أنه أصبح يشير إلى تلک القضايا فى غالبية أشعاره ومقالاته وقصصه أكثر من مرة فيكرّره عدة مرات، ليذكّر بأهمية القضية ومكانتها.» (حالت، ١٣٦٨ش: ٣٤٦) وفى انتقاده للاختلاف الطبقى السائد بين فئات المجتمع المختلفة والحكومة المستبدّة الشريرة والأمة المضطهدة يقول:

فى هذه الأرض ترى آلافاً من العيوب والأمراض، مرء يعانى وآخر يغرق فى الذل.
واحد فى محنة، واحد فى مذلة، إذا سألتنى عن الحكومة والأمة.
أحدهم ثعبان وآخر نمل. كم من شعب صبور، وكم من حكومة رديئة.
الازدهار والسعادة أمور خيالية، قسوة الظالمين هى دماغ المظلوم.
حكومتنا فى قبضة أعضاء المجلس، والشعب انتقض فى ظل حكامه.
حكومتنا شيطان، شعبنا ملاک، كم من شعب صبور ،كم من حكومة رديئة.
كلما احتاج المجلس إلى وجبة نادرة ونبيذ غير ناضج،
أو إلى هيأة مستباحة ودولة فاسدة، يفرض على الشعب الضرائب بالمكر والدسائس.
دولة وافدة جديدة ودولة ظهرت للتو، كم من شعب صبور، وكم من حكومة رديئة.
(حالت، ١٣٦٨ش: ٣٤٦)

إن الشاعر الفكاهى، قد نفد صبره وأصبح عاجزاً ويائساً من الفقر والأوضاع المأساوية. فوصلت به الحالة إلى أن ظل يرثى الوضع الفوضوى لأسرته قائلاً:

يارب قد نفد صبرى من الفقر والفاقة، ليس فى جيبى نقود و لا حتى إزار يسترنى.

زوجتى ليس لها جلباب وحمارى دون إكاف، وجهى شاحب وجسمى نحيف وقلبى ينزف دماً وعينى تدمع.

دارت الدنيا وتغيرت الأوضاع سوءاً، ينزف قلبى ينزف قلبى ينزف قلبى ينزف قلبى دماً. (م.ن: ٢٦٦)

بما أن الشاعر حالت كان يعيش فى فترة تعتبر العصيبة من نوعها بين فترات التاريخ المعاصر وواجهت مشاكل جمّة، والآفات الاجتماعية والثقافية منتشرة بشكل كبيرة فى هذه الفترة، فأدى كل ذلک إلى تعدّد الموضوعات وتنوعها فى آثاره. توفير الراحة والطمانينة بين فئات المجتمع المختلفة، تشكّل أهم هواجس الشاعر، وإن كان اهتمامه إلى الطبقات الدنيا وذات الدخل الوضيع والمحدود، أكثر عمقاً ومسؤولية. «يطرح الشاعر أسئلة متداخلة فى بعضها، أى أن الشاعر كان يتعمّد فى طرح مسألة تلو أخرى إما للدعابة أو لتضخيم الأمر أو أنه يشير إلى موضوع ليذكّر به موضوعاً آخر وهكذا يواصل. فى الواقع إن هذه الموضوعات المطروحة لا تتشابه ولا حتى ترتبط ببعضها ما أدى إلى خلق حالة من الدعابة والفكاهة فى مقالاته.» (حالت، ١٣٦٨ش: ١٠٢)

نقد سلطة الاستبداد فى المجتمع

إن الشاعر حالت شأنه شأن سائر الكتّاب والشعراء المعاصرين له، قد تأثر بالشعارات والقضايا السياسية والإيديولوجية. وكان ينشد أشعاره فى استنكار الظلم والاستغلال والثروة والاستبداد. وكان يشيد بالفقراء والعمّال. يقول أحمد شوقى حول النقد الاجتماعى فى الفكاهة: «إن النقد الاجتماعى أحد مستلزمات الفكاهة.» (١٣٧١ش: ٥) وقد انتقد حالت الفروق الطبقية، مستنكراً الظلم والاستغلال والثروة والاستبداد، مشيداً بالفقراء والفئة الكادحة فى المجتمع. وإن كانت قصائده تمتاز بروح الدعابة والفكاهة، ولكنه يحزن ويتألم أحياناً من الظلم والاضطهاد واللامساواة السائد فى المجتمع حتى يتجلى الحزن هذا بشكل مؤلم وموجع فى أشعاره:

لم يشيد قصر الظلم دون سبب، ولم يفتح باب الجور للجائرين دون سبب.

لم يعمّ الكساد فى سوق العدل والإنصاف دون سبب، والمحل لم يكن مليئا بالبضائع

دون سبب.

قرن الاضطهاد لم يتكاثر بلا داع. ولم تنزف عيون الحب والولاء بدون سبب.

لم يتوسع مجال الاستبداد دون داع، ولم يرتفع صوت بوق الاستعمار من دون سبب.

من أصبح أقوى فى محكمة الحوادث لم يكن مستثنى لقواعد السلامة والحماية.

من أتقن طريق الحياة وسلكه بشجاعة ومروءة، حظه من هذا المسار، لم يكن سهلاً وهو مؤلم.

إن المتلقى لضربة الملاكم هو من يربّى الملاكم، لأن الملاكم لا يظهر إلا ممن يتلقّى الضربة منه.

وفى مكان آخر، يعتبر أن خضوع رجال الدولة الحاكمين والظلم فى المجتمع، مصدره الرئيسى الحكام المستبدون للمجتمع فى ذلک الوقت. ويعزى مشاكل المجتمع إلى القادة الرئيسيين لحكومة بهلوى، الأمر الذى جعلهم يتأخّرون ن عن دول الجوار الأخرى:

إذا كان رئيس الدولة رجل عدل، فلماذا كانت حياة العدالة قصيرة جداً؟

كان يتحدّث فى العلن عن العدل وحب الناس، وفى داخله كره ونفور من هذا الحديث.

كل من سقط فى الحفرة لم يصب بأذى، وأنا سقطت فى البئر وكان الثعبان فيه.

لم يجد الشعب طريقه إلى قصر الراحة، لأن حارس البوابة له تأثير منذ البداية.

كان من أصبح كفرهاد طيب العمل فى حجاب حاجز، صار الجبل المتصلّب عند مجهوده كالقش.

من كان عفيفاً مثل زهرة. لابد أن يكون هناک سرادق وخيمة بجوار روضته.

مضايقة الأجانب أعاقت التقدّم، إن الإيرانى كان تقدّمياً منذ البداية. (حالت، ١٣٦٨ش: ١٠٢)

وفى مكان آخر، يصف مغادرة الحكام المستبدين فى إيران بأنها ستترافق بشعار "فليسقط" فينشد قائلاً:

من كان محتقراً للعدل والإنصاف يوماً، سيودّع بشعار "فليسقط" حتماً.

لم يدُم الظلم والجور أبداً، يصبح دماً قلبُ من كان سعيداً بهذه الحالة يوماً. (م.ن: ٩٨)

يعبّر "حالت" بصراحة عن جميع القضايا، منتقداً الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد فى القصيدة التالية، ما أثار امتعاض "الشاه" و"هويدا" من مجلة توفيق. وقد قصد الشاعر لذكره كلمة "آقا"، "الشاه" و"الخادم"، "هويدا". وفى المصرع الثانى ذكر "محمود" و"أياز" أى "سلطان محمود الغزنوى"، و"ملجيک او أياز" كناية عن "الشاه" و"هويدا":

يا صاحى من الأفضل ألا ننشد الشعر، حتى لا نفشل فى النظم لقصور القافية.

فالكل منزعج منا منهم السيد والخادم، يتعبنا مرة محمود وأخرى يهيننا أياز.

الكلّ يريدنا وفى نفس الوقت يفرّون منا، كأننا ثوم وبصل فى مائدة الطعام. (حالت، ١٣٦٧ش: ٣١٢)

كان سلوک النظام السياسى فى عهد بهلوى قائماً على العنف والقساوة. ومنذ ذلک الوقت، أصبح جميع عملاء النظام البهلوى عملاء سياسيين وكان الشاه هو المسؤول والمقرر الوحيد فيها. العوامل المختلفة مثل العملاء المتملّقين، وعائدات النفط، والجيش المطيع كانت العوامل الرئيسة الثلاثة التى عززت هذا النهج. وهناک عوامل تابعة للبلاط مثل أسد الله علم، جمشيد آموزگار، هويدا ومنوچهر اقبال اعتبروا أنفسهم فدائيين وخداماً وعبيداً وحاشية الملک المضحين بأنفسهم من أجل الشاه. إن نوع الحكومة التى يفضلها الملک والعوامل التابعة له «كانت كسائر دول العالم الثالث قد اعتمدت على أربع ركائز أساسية: الوحدة والولاء والانضباط والطاعة. فى مثل هذا الجو، اعتُبرت السلطوية ضرورية للحفاظ على أسس الدولة، ومشاركة الآخرين فى السلطة وصفة لتفكک البلاد.» (آموزگار، ١٣٧٥ش: ٢٧٤) «وكان الشاه قد اعتقد عن طريق الخطأ أن الصلة الروحية الخاصة التى تربطه بالأمة كانت على أعلى مستوى ممكن فى هذا البلد.» (طلوعى، ١٣٧٤ش: ٥٦)

اللامساواة الاجتماعية

تعدّ الفكاهة جزءاً من حياة الشاعر حالت. وهو يروّج من خلال الدعابة مشاكل

مثـل الرشـوة والتمييز فى الدوائر الحكومية وينتقدها. تصل شـكاوى عدم المسـاواة والقمع الاجتماعى فى قصائده إلى حدٍ جعله يصبح "شيطاناً لعيناً" ليخرج الظالم الشرير من الزمن ويقود الجميع إلى هاوية الدمار:

يا يد العدالة خذى نفساً من كمّک، يا قدم الانتقام تعال إلى هذه الأرض.

يا ملاک العدل والبر والإنصاف، اهبط ولو لمرة من السماء السابعة على الأرض.

لا تكن معزولاً واتجه نحونا من العرش الأعلى وتنفّس الصعداء فى هذه الأرض.

إلى متى يترصّد لنا قطّاع الطرق؟ فاخرج أنت من الكمين للانتقام والعقاب.

حاول حيناً مداعبة كل شخص يعانى. وحيناً آخر قم بتسلية كل قلب حزين.

للقضاء على أى طاغية متمرّد، لا ترحم وتحوّل إلى شيطان لعين.

تحـوّل إلى أموال وممتلكات تقع على العباد. وتحوّل إلى حصى وحجارة ترمى على رأس الخونة. (حالت، ١٣٦٧ش: ٣٨٨)

وفـى مكان آخـر، يعتبر أن خضوع رجـال الدولة الحاكمين والظلـم فى المجتمع، مصدره الرئيسـى الحكام المسـتبدون للمجتمع فى عصره. ويعزى مشاكل المجتمع إلى القادة الرئيسـيين لحكومة بهلـوى، الأمر الذى جعلهم يتأخّرون عـن الدول المجاورة الأخرى. ويقول عن اغترار الناس بالمظهر المخادع فى عصره:

إذا كان رئيس الدولة رجل عدل، فلماذا كانت حياة العدالة قصيرة جداً؟

كان يتحـدّث فى العلن عن العـدل وحب الناس، وفى داخله كـره ونفور من هذا الحديث.

إذا اعتبرت عالم الدين حبيباً للإله، ذلک لأنى خدعت باسمه "حبيب الله".

لا تخـرج الدواجن من منزل المزارع إلا إذا كانت علـى علم بمكر الثعلب وحيلته. (م.ن: ١٠٢)

كتب الشـاعر حالت فى كتاب "بچه ها برق آمده اسـت" (أيها الأطفال قد جاءت الكهرباء) : نحن لسـنا عبـاداً ناكرين للجميل وتعلّمنا منذ الصغـر أن كل ما يريده الله سيحصل لا محالة. نحن أهل الخضوع والرضا وقد خضعنا للحكم الإلهى« معظم الإيرانيين هكذا. لكن هناک أقلية، بدلاً من الاستسـلام للقضاء فقد استسـلمت للطعام، مثل ذلک

الطفل الذى كلّما قدّموا له الطعام يتذمّر ويقول إن ذلک ليس كافياً:

يا من يقف فى طوابير طويلة ليلاً ونهاراً، بحثاً عن الخيار والقرع والبصل.

إلى متى تتحمّل هذه الحالة؟ وإلى هذا الحد تسعى وراء بطنک؟

هذا الاهتمام بالأكل والبطن ليس سوى فخ لک، هذا الفقر والتكلفة العالية لم تعد مشكلة.

لماذا أنت متعلّق بهذه الدنيا الدنيئة. فكر بآخرتک إن كنت رجلاً مؤمناً.

المؤمنون لا يعانون من المصائب. لم يعد الفقر وارتفاع الأسعار مشكلة. (حالت، ١٣٧٢ش: ٩٢-٩٣)

ترجيح العلاقات على المعايير

فى قصائده، تناول أبو القاسم القضية الملموسة المتمثلة فى التحيز والمحاباة والثروة الهائلة، ويعتقد أن جميع الناس، الصغار والكبار، والشباب والشيوخ قد سئموا من عدم المساواة الاجتماعية وعدم امتلاكهم علاقات متحيزة لتسيير أعمالهم فى المجتمع وقاموا بالتشكى من الوضع محتجّين عليه:

من أصبح فى هذه المدينة أمير الأمراء، يا ليته يلتفت قليلاً إلى المساكين والفقراء.

أى شخص كحالى لم يكن لديه حزب ولا مال، لا يمتلک منصباً وزيراً كان ام مديراً.

الناس جميعاً فى معاناة ومحنة، صغيراً كان أم كبيراً فهم سواء.

الناس من الشباب والشيوخ يشكون من الأوضاع، كبيرهم وصغيرهم سواء.

إذا لم تكن الأمور قد انقلبت رأساً على عقب اليوم، فلماذا أصبح كل فاقد وعى صاحب رؤية؟ (حالت، ١٣٦٨ش: ٧)

أدى انتشار مشاكل مثل الارتشاء والتحيز والتمييز فى الدوائر الحكومية فى تلک الفترة إلى عدم المساواة والقمع الاجتماعى:

أصبحت الرشاوى مهنة الجميع، من يأكل ما يأكله دون خوف.

أحدهم بالفوضى والآخر بالصياح، أحدهم يأكل من كيس الراعى والأخر من حصة القطيع.

أحدهم بالخدمة والآخر بالطاعة، اللص يضرب اللص ويل على اللص الأخير. (م.ن: ٢٩٠)

إن تفضيل العلاقات على المعايير وصلت إلى المناصب الحكومية الرفيعة، والشاعر بما أنه لا يملك علاقة ولا ثروة فى المجتمع، لذلك لا يمكنه الوصول إلى مناصب عالية!!

نشر الفساد الاجتماعى

فى تعريف مصطلح الفكاهة، تم ذكر معانيها وأغراضها المختلفة، ولكن فى العديد من هذه التعريفات، لم يتم ذكر الغرض والمهمة الرئيسية للفكاهة، وهو الإصلاح والتحسين١. عندما اتسع نطاق نشاطه فى مجال الفكاهة، يعتبر الشاعر أن المهمة الرئيسية للفكاهة فى الأدب هى إصلاح الفساد وإزالة عيوب المجتمع ويقول فى هذا الصدد: «كان إصلاح الفرد من أهم ما تناوله الأدب الكلاسيكى سابقاً، ولكن اليوم يتعلق الأمر بالقضاء على الفساد فى المجتمع أكثر من إصلاح مساوئ الشخص. والفكاهة هى إحدى التكتيكات الأكثر نجاحاً فى هذا المجال.» (حالت، ١٣٦٨ش: ٦) قد لفت الشاعر فى أعماله إلى الدمار والفساد الاجتماعى، ونشر الفساد، ومعاناة الفقراء والعديد من القضايا الأخرى فى عصره. فى هذه القصيدة، يشير الشاعر إلى وضع إيران فى الخمسينيات، منتقداً الوضع الثقافى والسياسى والاقتصادى، بالإضافة إلى الفساد والقضايا الأخرى فى البلاد:

لا تجد كثرة الفساد فى أى مكان، ولا ترى أى احتيال ونصب قدْرَ ما رأيته هنا.
لا ترى فى أى مكان جهازَ حكم خالياً من العدل والإنصاف.
لا ترى فى أى مكان أن فى منزلٍ الشعب، يكثر أعداء داخليين فيه.
لا ترى فى أى مكان سفيهاً وأمياً بين قادة الجماعة قدر ما تراه الآن.
لا ترى فى أى مكان خزياً وعاراً بين الناس أكثر من هذا البطن المنتفخ.
لا تجد فى أى مكان من العالم كيف أن الجناة السفلة سعداء بعملهم هكذا.

١. يقول عمران صلاحى فى تعريف الفكاهة: هى السخرية من العيوب والقصور من أجل الإذلال والمعاقبة لغرض اجتماعى، وهذا هو الشكل المتطور للهجاء. أى أن الفكاهة نوع من الهجاء لغرض اجتماعى.

لا يوجد مكان فى العالم مثل ما نراه هنا حيث لا تصل إلى المقصود دون رشوة.

لا تجـد فى أى مكان من العالم الناس بجميع الفئـات، بارعين فى الخدعة والحيلة. (حالت، ١٣٦٧ش: ٤١٠)

يمكـن القـول إن فى أى وقت ومـكان يظهر فى المجتمع مَن يـذاع صيته فى روح الدعابة، والناس يمرحون بفنه وإبداعه، وفى نفس الوقت حاول هؤلاء الفكاهيون تعلّم النـاس ونقل تجاربهم لهم. لقد أدت هذه الملاحظات الفكاهية إلى مواسـاة الناس عبر التاريخ فى مواجهة جميع المشاكل الاجتماعية والسياسية والثقافية الفردية.

ينتقد الشاعر عمل الأفراد والقادة الحكوميين فى المجتمع، مستهزءاً بحركتهم البطيئة، فيشـبّه حركتهم بحركة السـلحفاة التى تُضرب مثلاً فى بطىء الحركة بل يعتبر حركتهم أكثر بطئاً من السلحفاة:

يقال إن سلحفاة نادت بصوت عال طفلها "يا ولدى".

أشكر الربّ أنه مع كل هذا البطء، فلا تصل هذه الحكومات إلى بطئنا حتى. (م.ن: ١٦٠)

النتيجة

يسـعى الإنسـان دائماً إلى تحقيق العدالة، مكافحاً عدم المساواة والتمييز. فى فترة الخمسـينات، كانـت الفكاهة الحقيقية تركّـز على أوجه القصور ومشـاكل الناس فى المجتمع أكثر من مسـاوئ الأفراد أنفسهم. والشعراء قد أشاروا إلى الفقر فى انتقاداتهم الاجتماعية وقد تكررت القضايا الاجتماعية مثل الفقر والظلم باستمرار فى قصائدهم، وكانت الفروق الطبقية كبيرة فى هذا العقد. بما أن وسائل الإعلام تترك أثراً كبيراً على الجمهـور، لهذا نراهم قد بذلوا قصارى جهدهم لتحسـين وضع المجتمع وتغيير سـلوك الجمهور وتوعيتهـم من خلال الإعلام والصحافة. لهذا أخـذت الصحافة بوصفها إداة اتصال وإبلاغ تتسـع وتتطور شـيئاً فشـيئاً وبمرور الزمن وتزامناً مع التقدّم العلمى فى المجتمـع لعبت دوراً هامّـاً فى إصلاح وتقويم أوضاع المجتمـع وأحواله. كان "حالت" شاعراً وكاتباً يعمل فى جريدة توفيق وهذه الصحيفة، بالإضافة إلى التعبير عن المحتوى الأخلاقى والتعليمى، لم تقتصر على مدرسة معينة بسبب السمتين المهمتين اللتين امتازت

بهما أى البساطة وسلاسة المحتوى التى لاقت ترحيباً من قبل الجمهور. فى الواقع كانت تلك الملامح نتيجة الثورة الدستورية وانتفاضة الصحافة والإعلام التى قلبت طريقة الكتابة وطريقة الكلام وقواعد اختيار القصائد. كانت نظرة الشاعر إلى مشاكل الناس مليئة بالتعاطف وروح الإنسانية. فكان يتحدّث عن مشاكل المجتمع وكأنه قد لمسها عن كثب. يجمع بين قصائد الهزل والجدّ، مستمدّاً من خياله الواسع واستخدامه الكثير من الكلمات ذات المصطلحات العامية البسيطة بالإضافة إلى استخدام الأشكال التقليدية والبحور القديمة، خاصة البحر الطويل، ينشد قصائد مذهلة دون أن يتعب القارئ من سماعها. على الرغم من أن قصائده قد تبدو مثيرة للاشمئزاز، إلا أن فى الباطن يكنّ حباً عميقاً لحقيقة الشرف والعفة، والتى يمكن ملاحظة الفرق بين ظاهر الهزل وباطن الجدّ بقليل من التمعّن دون تكلّف وإجهاد. إن الفروق الطبقية فى المجتمع مشكلة أشار إليها "حالت" مرات عديدة فى أشعاره. وانتشار قضايا كاللامساواة الاجتماعية، ترجيع العلاقات على المعايير، نشر الفساد الاجتماعى، استسلام الحكام، الارتشاء والتمييز فى الدوائر الحكومية، من جملة القضايا التى انتقدها "حالت" بشدة وقد اشتكى من الانقسام الاجتماعى والظلم السائد فى مجتمعه. ينبغى اعتبار "حالت" ناقداً اجتماعياً وكاتباً مثقفاً ومنفتحاً من حيث التفكير وأسلوب الكتابة. لقد لعب دوراً مهماً فى تصوير وضع المجتمع بلغته الحادة والمريرة فى بعض الأحيان. من هذا المنطلق، كان له تأثير إيجابى فى تطوير وتغيير الوضع الاجتماعى والسياسى والثقافى للمجتمع فى الخمسينات.

المصادر والمراجع

أ- الكتب

آرين‌پور، يحيى. (١٣٧٥ش). از صبا تا نيما. طهران: زوار للنشر.

آموزگار، جهانگير. (١٣٧٥ش). فراز و فرود دودمان پهلوى. ترجمة: اردشير لطفعليان. طهران: مركز ترجمه و نشر كتاب.

اسدى‌پور، بيژن وصلاحى، عمران. (١٣٦٥ش). طنزآوران امروز ايران. طهران: مروارید للنشر.

اصلانى (همدان)، محمدرضا. (١٣٨٥ش). فرهنگ واژگان و اصطلاحات طنز. طهران: كارون.

پلارد، آرتور. (١٣٨١ش). طنزز ترجمة: سعيد سعيدپور، ط٢، طهران: نشر مركز.

توفيق، عباس. (١٣٩٦ش). چرا توفيق را توقيف كردند؟. طهران: هرمس.

جوادی، حسن. (١٣٨٢ش). تاریخ طنز در ادبیات فارسی. طهران: کارون.
حالت، ابوالقاسم. (١٣٦٧ش). دیوان خروس لاری. طهران: سنایی للنشر.
ـــــــــــــ . (١٣٦٨ش). دیوان شوخ. طهران: سنایی.
ـــــــــــــ . (١٣٧٢ش). بچه‌ها برق آمده. طهران: سنایی.
ـــــــــــــ . (١٣٧٧ش). بحر طویل‌های هدهدمیرزا. طهران: دار سنایی للنشر.
حلبی، علی‌اصغر. (١٣٧٧ش). تاریخ طنز و شوخ‌طبعی در ایران و جهان اسلامی. بهبهانی للنشر.
الحوفی، أحمد محمد. (٢٠٠٥م). الفکاهة فی الأدب: أصولها وأنواعها. مصر: نهضة للطباعة والنشر والتوزیع.
دهخدا، علی‌اکبر. (١٣٧٧ش). لغت‌نامه. ج١٥. طهران: جامعة طهران.
رضوی، سیدمسعود. (١٣٩٥ش). تاریخ توفیق: سرگذشت طنز در مطبوعات ایران. طهران: صوفیا للنشر.
روزبه، محمدرضا. (١٣٨١ش). ادبیات معاصر ایران. ج٢. طهران: روزگار للنشر.
صدر، رویا. (١٣٨٤ش). نگاهی به طنز امروز. طهران: سخن.
صلاحی، عمران. (١٣٩٥ش). طنز در کاغذ کاهی. مروارید للنشر.
ـــــــ . (١٣٨١ش). طنزآوران امروز ایران. ط٧. طهران: مروارید للنشر.
صدر هاشمی، محمد. (١٣٦٤-١٣٦٣ش). تاریخ جراید و مجلات ایران. اصفهان.
طلوعی، محمود (١٣٧٤ش). شاه در دادگاه تاریخ. ط٢. طهران: علمی للنشر.
فرجیان، مرتضد و نجف‌زاده بارفروش، محمدباقر. (١٣٧٠ش). طنزسرایان ایران از مشروطه تا انقلاب. طهران: بنیاد للنشر.
قاسمی، سید فرید. (١٣٨٢ش). تاریخ شفاهی مطبوعات ایران. طهران: ققنوس.
ـــــــــــــ . (١٣٩٠ش). تاریخ مطبوعات ایران پیشینه مطبوعات جهان. طهران: ثانیئ للنشر.
قزیحة، ریاض. (١٩٩٨م). الفکاهة فی الأدب الأندلسی. بیروت: المکتبة العصریة.
کسروی، أحمد. (١٣٨٨ش). تاریخ مشروطه. طهران: کوشش للنشر.
مجاهد، أحمد. (١٣٩٠ش). جوحی. طهران: مؤسسة النشر التابعة لجامعة طهران.
معین، محمد. (١٣٨٢ش). فرهنگ فارسی. طهران: سرایش للنشر.
میرصادقی، میمنت. (١٣٨٥ش). واژه‌نامه هنر شاعری: فرهنگ تفضیلی اصطلاحات فن شعر وسبک‌ها و مکتب‌های آن. ط٣. طهران: کتاب مهناز للنشر.
نبوی، ابراهیم. (١٣٩٥ش). کاوشی در طنز ایران. طهران: جامعه ایرانیان.

ب) المقالات

ساکنیان دهکردی، مهسا. (١٣٨٧ش). «رویکردی به ادبیات طنز، با جستاری در شعر ابوالقاسم حالت». فصلیة کلیة الآداب والعلوم الإنسانیة. السنة الثالثة. الربیع والصیف. العدد ٨و٩. صص ٦٩-٩٤.
شوقی، أحمد. (١٣٧١ش). «طنز و شیوه‌های گوناگون آن». مجلة کیهان اندیشه. العدد ٤٢. خرداد-تیر.